

الثلاثاء 29-03-2011

1306-أسئلة وأجوبة أخرى

مقدمة :

هذا حديث آخر، حديث خفيف ضعيف، أسطح كثيرا من حديث روزاليوسف "المحيط" الذي نشر بتاريخ 26-3-2011، وهنا في نشرة "الإنسان والتطور" بتاريخ 23-3-2011، أما هذا الحديث فقد نشر في مجلة آخر ساعة بتاريخ 23 الجاري، وبرغم رأبي فيه فقد فضلت نشره أيضا، لعلني أتعرف على مدى الاختلاف في تلقي أحاديثي، وربما على مدى جدية من يتابع اجتهاداتي لتفسير الجاري،

هذا، ولي حديث أهم في نفس الموضوع الجاري سوف ينشر في جريدة "الأخبار" خلال أيام وهو أعمق الأحاديث الثلاثة،

وسوف ينشر هنا أيضا في النشرة بمجرد صدوره .

شكراً،

وعذراً .

= هل هناك أمراض نفسية تنتج عن الثورات.. وهل هذه الأمراض تختلف في نوعيتها في حالة نجاح الثورات من عدمه؟

أنا لا وافق على تسطيح مثل هذه الخبرات الجماعية الرائعة على مسار الشعوب إلى لغة المرض النفسي والتفسيرات النفسية، هذا تشويه لحركية الوعي الجماعي، وهو لا يمثل أية إضافة علمية، ماذا يفيد إذا قلنا أن الاكتئاب يزيد، أو أن القلق ينقص، إن مهمة العلم والمعرفة هو استيعاب نتائج الثورة للإسهام في ضمان دفع إيجابياتها، وإخيلولة دون تشويه نتائجها، ودون أن يستولى عليها غير أهلها لغير صالح من قام بها .

= هل انتشار المظاهرات والمطالبات الفئوية نوع من التأثيرات النفسية للمظاهرات .. وهل يمكن اعتبار ذلك تنفيذا عن غضب وكبت ظل حبيسا لفترة طويلة ثم وجد طريقه للظهور؟

المسألة ليست مجرد تنفيث عن غضب، أو كبت لفترة طويلة، مثل هذه الانتفاضات الرائعة هي نوع من الإبداع لتشكيل ما ظل يتراكم كامنا داخلنا، وداخل الشباب خاصة، وهو يستعد للانطلاق أملا في تغيير لصالح ناس يستحقون ذلك نتيجة لصبرهم طويلا، إنني أرفض أن يسمى أو يوصف مثل هذا الفعل العملاق بلغة نفسية مختزلة، حتى لو قيل إنها علمية

= هل تحتاج المجتمعات بشكل عام بعد الثورات لنوع من التأهيل النفسي.. وما هي كفيته وطرقه وهل هناك مدى زمني لاستكمال هذا التأهيل؟

تأهيل نفسي ماذا يا ابنتي؟ وهل نحن استطعنا أن נוّهل مرضانا كما ينبغي لما ينبغي، حتى نوّهل مجتمعا بأكمله، نحن نتعلم من هؤلاء الشباب التّاهي لوغير التّاهيلن إن ما نحتاجه، حتى ونحن أطباء هو أن نوّهل أنفسنا قبلهم، صحيح أننا مسئولون ، لكن أرفض حشر الأمر طول الوقت في وصف يبدو علميا بمجرد تفرقة تعسفية لما هو نفسي عن ما هو غير نفسي،

هذه الجرعة الرائعة من الإبداع الثوري ينبغي أن نتعهدا بالعمل، والانتاج، والإبداع، فورا ودائما، هذا هو كل ما في الأمر،

أرجو أن يوضع دور التفسيرات النفسية في موضعها المتواضع تماما.

= بالتطبيق على ثورة شباب مصر.. هل هناك ظواهر نفسية ظهرت بعدها وما أسبابها وما الطرق العلمية لعلاجها؟

طبعاً توجد ظواهر نفسية، لكنها ليست بالضرورة أمراضاً، ولا هي كلها إيجابية، لقد نبهت في أكثر من موقع أن استمرار التظاهر بنفس الطريقة، والإصرار على المطالبة بنفس المطالب، قد يقلل من خدة الاندفاع الثورية ويجولها إلى تقلص متجمد، وهذا ضد قوانين الحياة التي تسير بإيقاع حيوي منظم مثل اختلاف الليل والنهار، ومثل نبضات القلب المنتظمة، لا بد بعد دفع القلب للدم من التمدد لامتلاء بدم جديد، هذه ظاهرة نفسية بيولوجية حياتية، وهي كل ما يهمني التأكيد عليه

= هل يمكننا اعتبار أعمال البلطجة والسرقات والخرايق نوعاً من التأثير النفسي؟

تأثير نفسي ماذا بالله عليك؟

لماذا هذا الخلط بين الإجرام، والأخلاق، والتحطيم ، وبين ما يسمى تأثير نفسي،

البلطجة بلطجة لا أكثر ولا أقل

= في رأيكم هل يحتاج جهاز الشرطة لدينا إلى تأهيل نفسي بعدما حدث من انفلات أمني والصراع الرهيب بين الشعب وكل ما هو شرطي؟

أى جهاز تتضمن وظيفته الاحتكاك بالناس، لخدمتهم، أو لتأمينهم، أو لتسهيل مصالحهم، يحتاج إلى تأهيل نفسى، وأرى أن ما حدث بين الشعب وبين الشرطة ليس خطأ الشرطة ولا هو انتقام الشعب، وإنما هو خطأ النظام الذى استعمل الشرطة كعصا لقهر وقمع الناس بالحق والباطل، حتى تشوهت الصورة دون وجه حق في كثير من الأحيان،

لا بد من الاعتراف أن كثيرين من رجال الشرطة كانوا وما زالوا يقومون بدور إيجابي مهم جدا في تشكيل كيان الدولة وهويتها، وهو أمر ضرورى لا غنى عنه في الحياة المدنية المعاصرة، وهو ليس من مهمة الجيش إطلاقا إلا بشكل استثنائى ، ولفترة محدودة تماما .

= هل هناك أسباب نفسية دفعت الشعب خاصة الشباب للثورة على نظام مبارك.. وهل لفترة الحكم الطويلة كان لها تأثير في تصاعد هذه التأثيرات ووصولها إلى الذروة؟

لا شك أن عدم تغيير الوجوه، وعدم تداول السلطة، وعدم وجود قنوات حقيقية للتواصل بين الحاكم وبين الناس، كل ذلك يكمن وراء التمدادى في الخطأ من ناحية السلطة، والتمدادى في اليأس من ناحية الناس، وبالتالي كان لا بد لهذا الصبر أن ينفد، ولهذا التراكم أن ينفجر، وهذا ما كان،

بقى أن ننسبه ليس فقط إلى العودة سريعا إلى العمل والإنتاج، وإنما إلى التعلم من الأخطاء السابقة بتغيير جوهرى للأسس التى سوف تتبعها المؤسسات المختلفة ونحن نبني الدولة من جديد.

= في رأيكم ما أبرز المسببات النفسية التي تجعل من جلس طويلا في السلطة إلى التمسك الرهيب بها وهل هذه الأسباب وراء ما يحدث في ليبيا حاليا وحدث من قبل في مصر وتونس؟

لقد شرح نجيب محفوظ أسس فكرة وهم الخلود وزيفها وخطرهما على من يتوهم أنها ممكنة ، وورد هذا في ملحمة الخرافيش بما هو أفضل مائة مرة من تفسير أى طبيب نفسى،

إن إنكار حقيقة الموت في داخل داخل من يتولى السلطة تجعله يعيش وهما ضد الطبيعة بل وضد نفسه، لقد حظر الساحر "شاور": جلال صاحب الجلالة في ملحمة الخرافيش من ضلال الخلود حين قال له "سوف تمتنى الموت فلا يأتي، وسوف تتغير الوجوه جيلا بعد جيل وأنت باق"، فأظهر كيف أن وهم الخلود هو شذوذ أشد من الجنون، وقد بين نجيب محفوظ ذلك بشكل رائع، وهو ما تناولته في نقدي لهذه الملحمة مستلهما محفوظ أكثر من الرجوع إلى أسس علم النفس أو الطب النفسى

= هل هناك ظواهر للمرض النفسى تصيب الرؤساء بعد التنحي الناتج عن الثورات.. وهل تختلف هذه الظواهر عن الأعراض المماثلة في حالة التنحي الطبيعى أي بعد انتهاء المدة مثل رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها؟

إن من تعود على السمع والطاعة، ومن ظل يحكم ولا يُسأل، ويعين ولا يستشير، حين يجد نفسه بلا حول ولا قوة لا بد أن يصاب بالإحباط بشكل تتوقف أشكاله وجدنخ على مدى صلابته، وقدرته على التعويض، وعلاقته بقيم الحياة الحقيقية، وعلاقته بربنا وبالموت، لهذا فأنا أرى أن تحديد مدد الرئاسة هو من صالح الرئيس نفسه مثل صالح الناس، ونحن نسمع عن كارتر وهو يزرع الفول السوداني في مزرعته، أو عن كلينتون وهو يعزف ويكتب، ولا نعرف في عالمنا العربي ماذا يفعل الرؤساء الذين انتهت مدة خدمتهم، ناهيك عن مدة صلاحيتهم

- بوصفك من علامات لطب النفسي في مصر والعالم العربي.. هل يمكن أن تقرب لنا الحالة النفسية الحالية للرئيس مبارك وزوجته وابنه الذي كان موعودا بالتوريث وكان على مقربة قوسين منه؟

لقد رفضت ذلك تماما لأسباب علمية وأخلاقية معا، أما الأسباب العلمية فليس تحت يدي معلومات موثقة من مصادر مختلفة تسمح لي بمثل ذلك، أما الأسباب الأخلاقية فإن مثل هذه التفسيرات العشوائية غالبا تكون سلبية، وهذا لا يجوز أن يتم بسهولة في حالات ضعف من نجى عليهم التشريح وهم بعد أحياء يتأملون تحت زعم أننا ندرس ما تبقى من أعضائهم،

لقد كتبت في أكثر مناسبة خطابات مفتوحة، نشرت في الوفد تباعا، في ثلاث مناسبات (محاولة الاغتيال في أديس أبابا، وحادثة مقتل السواح في الأقصر والترشيح للرئاسة للمدة الرابعة) وقلت للرئيس فيها رأي فيه وفيما يجرى، وحذرت من أخطاء سارية منه ومن حوله بشكل مباشر وغير مباشر، وكان ذلك في عز سلطانه،

أما بعد أن جرى ما جرى فإنه يصبح من حسن الخلق، ودقة العلم وأمانته، أن ننتظر أحكام المحاكم، وأن نختم مشاعر البشر مهما بلغت أخطاؤهم حتى تثبت إدانتهم، وساعتها قد لا نحتاج إلى تفسيرات نفسية تعسفية.

- بصفتكم من الشخصيات العامة المثقفة ذات التأثير في المجتمع المصري.. هل ترون النظام البرلماني أم الرئاسي مناسبا للوضع في مصر الآن؟

رئاسي! برلماني! ليست هذه هي القضية، لأن شعبنا يحول رئيسه ملكا أو فرعوناً تحت أي اسم، المهم ممارسة العدل، بشكل مطلق، ومتابعة الأداء بنقد قوى، وردع المخالف أولا بأول، وفي وقت باكر جدا حتى لا يتمادى في أخطائه أو جرائمه، سواء كان رئيس دولة أم أمين شرطة أم أستاذا في جامعة.

- وهل الشعب المصري بعد ثورة يوليو مؤهل نفسيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا للتوأكب مع النظام البرلماني؟

أولا الشباب ليس مجرد السن المدرج في شهادة الميلاد ، الشباب يتحدد بالقدرة على الحفاظ على الدهشة، والقدرة على التغيير، وزخم حركية الإبداع، والحفاظ على الأمل، وكل هذا مفروض أن يتواجد في السن الأصغر، لكنني أعرف شبابا لا يتمتعون بأى من ذلك، وفي نفس الوقت أعرف شيوخا هم في غاية الشباب.

= احتار الكثيرون في التحليل النفسي لشخصية الزعيم الليبي معمرالقذافي.. البعض يصفه بجنون العظمة فهل ذلك صحيح من الناحية العلمية وما تفسرك النفسي لهذه الشخصية .. وما توقعاتكم كعالم نفس في كيفية تصرفه حال نجاح الثورة ضده؟

مرة أخرى أنا أرفض أن ننعت الرؤساء القتلة، أو الساسة المجرمين الذين يعلنون الحروب الاستباقية، ويررون طرد الناس من أراضيهم ومن بيوتهم، ويقتلون الأبرياء بغير وجه حق، أرفض أن ينعثوا باسم أى مرض نفسى مهما بلغ شذوذهم، إن مرضانا أطيّب وارحم وأرق من كل هؤلاء، واختزال جرائم هؤلاء المجرمين إلى اسم مرض نفسى يثير شبهة إعفائهم من المسؤولية ، كما قد يبرر سلوكهم بغير وجه حق.

هذا مجرم طاغ قاتل ينبغى أن يأخذ جزاءه من شعبه، أو من القضاء مهما بلغ شذوذه، لا أكثر ولا أقل.